مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

أحاديثٌ في
الفناءِ الفاطميّ

عبدُ الحَليم الغِـزّي

منشـورات موقع القمر

أحاديثٌ في
الفناءِ الفاطميّ

يوم الجمعة

بتاريخ: 12 جمادى الأولى 1438 هـ

الموافق: 10/ 2/2017 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

أحاديثٌ في
الفناء الفاطميّ

عبدُ الحَليم الغِزّي

في المجالس الفاطميّة

بموكب شيعة عليّ عليه السلام/ أسن – ألمانيا

يَا زَهْرَاءُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

اللَّهُمَّ يَا رَبّ فَاطِمَة بِحَقِّ فَاطِمة اِشْفِ صَدْرَ فَاطِمَة بِظهُورِ الحُجَّةِ عَلَيهِ السَّلام

حينَ نجتمعُ في مثلِ هذه المجالس نُظهرَ وِلاءَنا لفاطمَة، ونُظهرَ براءَتنا من أعدائها، ونتذكّرَ مُصابَها وآلامها وأحزانها، وقد تتدفَّقُ دَمعةٌ من آماقنا، وكلُّ ذلك شَيءٌ حَسَنٌ لا جِدالَ فيه، ودعوني من البدايةِ أتَّفقُ معكم على ذلك.

ولكنَّ فاطمة صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها هل تُريد منا ذلك فقط..؟!

هل هذهِ المجالسُ تُعقدُ وتُقامُ لأجلِ ما ذكرتُ قَبلَ قَليلٍ في حَديثي..؟!

هذهِ المجالسُ وكُلُّ النَّشاطات، وكلُّ ما يُمكنُ أن يقعَ تحت عُنوان: إحياء أمرهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، لابُدَّ أن يكون ضمن قائمة الأولويات، وهذه مُشكلتنا! مُشكلةُ الشِّيعة عبر التأريخ..!! ودعونا نتحدَّثُ عن مقطعٍ من التأريخ، عن عصرِ غيبةِ إمامنا صلواتُ الله وسلامهُ عليه، مُشكلةُ الشِّيعة عبر التأريخ، وأقصدُ هذا المقطع بالذَّات الَّذي أشرت إليه، مُشكلتها في ترتيب الأولويات..!! فما أشرتُ إليه قبل قليلٍ شيءٌ حَسَن، شيءٌ مُهم، ولكنَّهُ هل يقعُ في رأسِ قائمة الأولويات الفاطميّة؟! لا أعتقدُ ذلك!!

إمامنا الصّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه يقول: (مَنْ بَاتَ لَيلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانِه مَاتَ ميتَةً جَاهلِيّة) هذه هي الأولوية!! وكلُّ التفاصيلِ في حياتنا الدِّينيّة لابُدَّ أن تُوظَّف لخدمة هذه الأولوية..!!

في هذا المجلس والحُضّارُ فيه من مناطق مُختلفة لا أحبُّ أن أحدِّثكم حديث التأريخ، أو أن ينفَضَّ هذا المجلسُ من دون أن أضع في أيديكم حقيقةً أو جُزءاً من حقيقة قد يكونُ غائباً عن أذهانكم، لذا في هذه اللَّيلة سأقفُ عند أهمِّ وثيقة، عند أهمِّ رسالة، عند أهمِّ توقيعٍ وَرَد إلى الشِّيعة من إمام زَمانهم، إنَّهُ تَوقيعُ إسحاق بن يعقوب، رسالةٌ كَتبها إسحاقُ بن يعقوب في زَمن الغيبة الصّغرى، وبالتحديد في أيَّام السَّفيرِ الثَّاني، محمَّد بن عُثمان بن سعيد العَمري، وجاء الجوابُ من إمام زماننا مكتوباً بخطِّ يَده، الإمامُ كَتبَ جواب إسحاق بن يعقوب بخطِّ يده، قطعاً الوقتُ لا يكفي أن أقف عند كُلِّ كلمة من كلمات هذه الرسالة، لكنَّني سأقفُ عند المفاصل المهمّة في رسالة إمام زماننا الَّتي هي لنا وللأجيال القادمة، إن طال زمنُ الغيبة، رسالةٌ مُوجهةٌ إلى كُلِّ الشِّيعة عبر زمان الغيبة الصّغرى والغيبة الكبرى وإلى يومنا هذا.

مصدرُ هذهِ الرِسالةِ الأصل هو كِتابُ (كمالُ الدِّين وتمامُ النِّعمة) للشَّيخ الصّدوق رحمةُ الله عليه، وهذا هو الكتابُ بين يدي، في بابِ التوقيعات، من كان عندهُ الكتاب فليذهب إلى الفهرست في باب التوقيعات، والمراد من التوقيعات هي الرسائلُ الَّتي وردت من إمام زماننا إلى شيعته، لن أقرأ الرِسالة من أوّلها إلى آخرها وكما قُلت قبل قليل لن أقف عند كُلِّ كلمة من كلماتها، إذ أنَّني لو فعلت ذلك سيطولُ بنا الوقت، لكنَّني سأقفُ عند المفاصل المهمّة من هذهِ الرِسالة، والعبرةُ من ذَلك كي نُقارن بين حالةِ الشِّيعة في زمانِ صُدور الرِسالة وبين حال الشِّيعة في زماننا هذا، هل تغيّر الحال؟ تبدَّلَت الأحوال؟! فالظروف الموضوعية للواقع الشِّيعي كانت سبباً مُهمّاً من أسبابِ غيبةِ إمامِ زماننا، لا أقول إنَّ الواقع الشِّيعي يُمثِّلُ كُلَّ الأسباب، ولكن من جُملة الأسباب المهمّة الَّتي أدَّت إلى وقوع الغيبة، إلى طولها، إلى قِصرِها، إلى سائر التفاصيل الأخرى هو ما كان عليهِ الواقعُ الشِّيعي، وهذا هو الَّذي يخصّنا، لذلك سأقفُ عند المفاصل المهمّة الَّتي أشار إليها إمام زماننا في هذهِ الرِسالة وأقارنُ بين تلكَ الأيّام في النِّصف الأول من عصرِ الغيبة الصّغرى وبين هذهِ الأيّام الَّتي نحنُ نعيشها.

تحدَّث الإمامُ في أول الرِسالة عن أمر المنكرين لهُ، الَّذين يُنكرون وجودهُ، الَّذين يُنكرون إمامتهُ، فَممّا قالهُ وهو يُخاطب إسحاق بن يعقوب الَّذي وجّه الرِسالة إلى إمام زماننا: (**أَمَّا مَا سَأَلتَ عَنهُ أَرْشَدَكَ اللهُ وَثَبّتَكَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكِرِينَ لِي مِنْ أَهْلِ بَيتنَا وَبَنِي عَمِّنَا فَاعْلَم أَنَّهُ لَيسَ بَينَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَبَينَ أَحَد قَرَابَة وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَلَيسَ مِنِّي**) إلى آخر ما جاء في حديثه صلواتُ الله وسلامهُ عليه، هذا الإنكارُ لا زَالَ موجوداً، هناك في أجوائنا الشِّيعيّة مَن يُنكرَ وجودَ الإمامِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، هُناك من أَلَّفَ وَكَتَب! وهناك من يعقدُ النَّدوات! وهناك من يَهمس همساً! أنا هنا لا أريد أن أشير إلى أسماء أو مُسمّيات أو جهات، إنَّما أتحدَّثُ عن الواقع الشِّيعي بشكلٍ عام في عناوينه العامّة، فحالةُ إنكار الإمام صلواتُ الله وسلامهُ عليه موجودةٌ.

والإنكار على نحوين:

- هناك إنكارٌ مباشرٌ.
- وهناك إنكارٌ عملي.

الإنكارُ المباشر: أن يُنكر باللَّفظِ وبالدليلِ بحسب ما هو يعتقد أنَّهُ دليل، وبإثارة الشُّبهات، أن يُنكر وجوده، أن يُنكر ولادتهُ، أن يُنكر وأن يُشكِّك في الوثائق الَّتي بينَ أيدينا الَّتي تُثبِتُ ولادةَ الإمام صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وسائر التفاصيل الأخرى.

أمّا الإنكار العملي: فَبِلسانه يقول الإمام موجودٌ، ولكن عملياً تتصرّفُ الشِّيعةُ وكأنَّهُ ليس موجوداً، فهذه الحالةُ من الإنكارِ كانت موجودةً في وقتِ صُدور الرِسالة ولا زالت هي هي.

هذا الأمر أيضاً كان موجوداً في ذلك الوقت، على مستوى الإنكار القولي، الإنكار اللفظي، والَّذي تترتَّبُ عليه عقيدةُ الإنكار، أو على مستوى الإنكار العملي، يعتقدُ بوجوده ولكنَّهُ لا يُرتِّبُ أيّ أثرٍ على وُجوده، وهذا الأمر يشملُ الرعيّة والرّاعي، يشملُ أصحاب القرار في الوسط الدِّيني الشِّيعي، ويشملُ الأتباع، يشملنا جميعاً، فحالةُ الإنكار الَّتي تحدَّثت عنها رسالة إمام زماننا كانت موجودةً ولا زالت.

المفصل الثَّاني الَّذي تحدَّثت عنهُ رسالة إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وهو يتحدَّثُ عن عقيدة باطلة أشار إليها الإمام بما جاء في رسالته بقوله: (**وَأمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أنَّ الحُسَين لَم يُقْتَل، فَكُفْرٌ وَتَكْذيبٌ وَضَلَال**) وهذه العقيدةُ تبنَّتها مجموعاتٌ من الغُلاة من الباطنية في زمان الأئمَّة، وأنا هُنا لا أريدُ أن أقف عند كُلِّ صغيرة وكبيرة، إذ سيتشعَّبُ الحديث ويأخذني يميناً وشمالاً، وأنا أريد أن أحصر حديثي عند المفاصل المهمّة في هذه الرِسالة كي تتَّضح العبرةُ والفكرة الَّتي أشرتُ إليها، الَّتي دعتني إلى أن أطرحَ هذه الرِسالة بين أيديكم في هذا المجلس، هذه العقيدةُ موجودةٌ، إذا أردنا أن نقرأ كُتب النَّصيرية فهذه عقيدةٌ ثابتةٌ عندهم في كُتبهم، نَظَّروا لها، واستدلَّوا عليها، ولكن في وسطنا الشِّيعي الاثني عشري تُوجد الآن مجموعات تتبنَّى هذه العقيدة، وأعتقد أنَّ الَّذين منكم يُدمنون التعامل معَ وسائل التواصل الاجتماعي على الشَّبكة العنكبوتية يعرفون ذلك، يعرفونَ هذه القضيّة، هُناك مجموعات، صحيحٌ ليس لها عنوان مُشخَّص في عالم الواقع، ولكن في العالم الافتراضي، وصار العالم الافتراضيّ الآن عالَماً واقعياً، صحيحٌ يُقال عن العالم الافتراضي في زماننا هذا يُقال عنهُ افتراضي، لكنَّهُ صارَ واقعياً، ففي العالم الافتراضي هُناك نشاطٌ لا أقول إلى الدرجة العالية جداً، ولكن هُناك نشاطٌ واضحٌ في عالم الإنترنت لمثلِ هذه العقيدة وفي الوسط الشِّيعي الاثني عشري، لا أتحدَّث عن النَّصيرية، فالنَّصيريةُ ما هم بشيعة، مجموعةٌ لها عقائدها وفكرها، ولا شأن لنا بها، إنَّني أتحدَّثُ عن الواقع الشِّيعي، عن وَاقعنا نحنُ، فهذه العقيدةُ كانت موجودةً في زمان الرِسالة في الوسط الشِّيعي، ولا زالت موجودةً وهي أقوى في هذه السنة أكثر من السنة الماضية، وكما قُلتُ قبل قليلٍ الَّذين لهم تواصل وإدمان مع العالم الافتراضي على شبكة الإنترنت يعرفون هذه الحقيقة.

وَأمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أنَّ الحُسَين لَم يُقْتَل فَكُفْرٌ وَتَكْذيبٌ وَضَلَال: وعقيدةُ القومِ يقولون؛ إنَّ الحُسَين وأهل بيته وأنصارهُ وعائلته رُفعت إلى السّماء، والَّذي جرى ما جرى على الأرض جرى على ملائكة تصوّروا بصورهم، الإمامُ يتحدَّثُ عن هذا المعنى ولا أريدُ التفصيل في هذه القضيّة.

مفصلٌ آخر تحدَّثت عنهُ رسالة إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه حين قال: (**وَأمَّا الحَوَادثُ الوَاقعَة فَارجِعُوا فيهَا إلى رِوَاة حَديثنَا فَإنَّهُم حُجَّتي عَليكُم وَأنَا حُجَّةُ الله عَليهِم**).

والسؤال هُنا: هل هناك من رِواة حديث بهذه المواصفات الَّتي تُؤهِّلهم أن يكونوا حُجّةً من قِبل إمام زماننا على شيعته؟ هل هُناك رِواةُ حديث بهذه المواصفات؟ لن أتشعَّب أيضاً كثيراً في هذا المطلب، ولكنَّني آتيكم بأمثلة عمليةٍ من واقع حياتنا ثُمَّ أعرّج على مقصدي وأنتقلُ بعد ذلك إلى مفصلٍ آخر.

- أكثرُ عُملةٍ تتعرّض للتزوير معروفٌ هذا الدولار، الدولار أكثر عُملة تتعرّض للتزوير في العالم، لكن الولايات المتحدة الأمريكية وضعت نظام حمايةٍ لعُملتها، وبالتّالي فإنَّ نسبة العُملة المزوّرة لن تُشكِّل مثلاً النِّصف ولا تُشكِّل الرّبع من العُملة الحقيقية، وحينما يذهب الشَّخص إلى البَنُوك فإنَّهُ لن يُحصَّل منهم عُملةً مُزوّرة، العُملة المزوّرة من الدولار موجودة في أماكن مُعيّنة في جهات مُعيّنة، المساحة الأكبر الَّتي يتعامل معها النّاس مع الدولار وبالدولار، الدولار الصّادر من الجهات القانونية الرسميّة.

- نفس الأمر الجوازات، في كُلّ دولة من الدول هُناك نسبة من جوازات السّفر مُزوّرة، ولكن كم نِسبتها إلى الجوازات غير المزوّرة؟!
- الشَّهادات الجامعيّة، في كُلّ دول العالم هناك شهادات جامعيّة مُزوّرة، لكن كم نِسبة الشَّهادات الجامعيّة المزوّرة بالنسبة إلى الشهادات الحقيقية؟!
- النِّتاج البشري الَّذي يخضع لقوانين حقوق الطبع، (الـcopyright) هُناك جُزءَ من هذا النِّتاج البشري يكون خارجاً على المواصفات القانونية، ولكن كم نِسبتهُ بالقياس إلى المنتج القانوني؟ وهكذا.

هناك نِسبة من التزوير، هُناك نِسبة من الغُش والخداع في كُلّ الأشياء، في المصنوعات، في المطبوعات، في كُلّ شيء حولنا ولكن كم نِسبةُ ذلك؟ النِّسبة ستكون محدودة، وكُلّ جهة من هذه الجهات تُحاول أن تجعلَ نظام حمايةٍ لمنتجها، أيّا كان نوع هذا المنتج، عُملة نقدية، وثائق رسميّة قانونيّة، شهادات علمية، مطبوعات، مصنوعات، وهذا هو الشَّيء الطبيعي، الطبيعةُ البشرية تقتضي ذلك.

- لماذا هذا القانون يجري على كُلّ شيء إلَّا على روايات أهل البيت؟!
- لماذا تقوم المؤسّسة الدِّينيّة بحذف تسعين بالمئة من حديث أهل البيت وتقول هذا مُزوّر؟!
- لماذا أهل البيت لم يكن عندهم قانون يحافظ على حديثهم، لماذا؟
- فهل المؤسسة الدِّينيّةُ ينطبقُ عليها هذا الوصف: رِواةُ حديث أهل البيت؟! رِواة حديث أهل البيت وهم ينسفون تسعين بالمئة من حديث أهل البيت!!

هذا هو الواقع هذا هو الواقع العلمي، وأبسطُ مثالٍ تفسيرُ القُرآن، لا يُوجدُ في المكتبة الشِّيعيّة تفسير واحد كَتَبهُ عُلماؤنا ومراجعنا اعتمدوا فيه على حديث أهل البيت، لا يوجد ولا تفسير واحد، كُل التفاسير الموجودة اعتمدت على المنهج المخالف لأهل البيت، وربّما ذكرت شيئاً من حديث أهل البيت قد لا يصل إلى نسبة 5%، إذا أردتُ أن أبالغ فإنَّهُ قد يصل إلى نسبة 10%، وليس أكثر من ذلك.

فأقول: لماذا كُلُّ البشر يصنعون قانوناً لحماية مُنتجهم، بينما أهلُ البيت صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، بحسبِ المفترض بهذهِ النَّظريات الَّتي ضعَّفت حديث أهل البيت فإنَّها تفترض أنَّهُ لا يوجد نظام حماية في هذه الروايات..؟!

أهل البيت أوجدوا نظام حماية ولكنَّهُ رُفض، عُلماؤنا رفضوا نظام الحمايةِ وجاءونا بقواعد وقوانين عبرَ ما يُسمّى بعلمِ الرِجال، بعلمِ الأصول، بعلم الدِّراية، بعلمِ الكلام، بعلمِ التفسير، ونسفوا تسعين بالمئة من حديث أهل البيت، فهل يُعقل أنَّ أهل البيت حين حدَّثوا شيعتهم لم يلتفتوا إلى أن يضعوا نظام حمايةٍ لحديثهم؟! يُعقلُ هذا؟! وكُلُّ البشر يضعون نظام حمايةٍ لمنتجاتهم، عبر التأريخ.

الباحثون عن الآثار ألم يعثروا على آلاف من الرقوم الطينية في الآثار السومرية لتوثيقِ المعاملات، آلاف، آلاف من الرقوم الطينية كُتبت، إمَّا بالكتابةِ الصورية أو بالكتابة المسمارية، كُتبت لأجل توثيق مثلاً؛ بيع بقرة،

أو لأجل بيع مجموعة من الأسماك، أو لتوثيق عقد زواج في الزّمان السومري، موجودة هذه الرقوم في المتاحف، آلاف من الرقوم الطينية، فالبشريةُ مُنذ ذلك الوقت وهي تَضعُ نظاماً لحفظ شؤونها وأحوالها ومنتوجها، لماذا حديث أهل البيت أهل البيت لم يضعوا لهُ نظاماً بحسب النظرية المفترضة..؟!

وَأمَّا الحَوَادِثُ الوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلى رِوَاةِ حَدِيثِنَا: قطعاً في زمان الغيبة الصّغرى، قطعاً السّفراء ينطبقُ عليهم هذا العنوان، لكن في زماننا هل يُوجدُ من ينطبق عليه هذا العنوان؟! بالنِّسبة لي لا أعتقدُ ذلك! زماننا أسوأ من زمن الرِسالة، لأنَّهُ في زمن صدور هذه الرِسالة قطعاً هذا العنوان: (رواة الحديث، الَّذين هم حُجّةٌ من قِبلِ الإمام المعصوم) ينطبق على السّفراء، يقيناً ينطبقُ على السّفراء، هذه الرِسالة جاءت من طريق السّفير الثَّاني، قَطعاً هذا العنوان، هذا المضمون كان موجوداً في زمان الغيبة الصّغرى، في زمان صدور الرِسالة، لكن في هذا الزّمان هل يُوجدُ من ينطبق عليه هذا العنوان؟ بالنِّسبة لي لا أعتقدُ ذلك، والنّاسُ أحرارٌ فيما يعتقدون.

ولذا الإمام صلواتُ الله وسلامهُ عليه مُباشرةً في رسالته بعد أن قال: **وَأمَّا الحَوَادِثُ الوَاقِعَة فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاة حَدِيثنَا فَإِنَّهُم حُجَّتِي عَلَيكُم وأنَا حُجَّة الله عَلَيهِم** -ماذا قال؟ قال- **وَأمَّا مُحَمّد بن عُثْمَان العَمْرِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَعَن أَبِيه من قَبل فَإِنَّهُ ثِقَتِي وَكِتَابُهُ كِتَابِي**، الإمام هنا يُريد أن يُبيّن لنا مصداقاً واقعياً على أرض الواقع ينطبقُ عليه المضمون الموجود فيما قالهُ قبل قليل (**وَأمَّا الحَوَادِثُ الوَاقِعَة فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاة حَدِيثِنَا**).

الَّذين قد يصفهم النّاس بأنَّهم رواة حديث، إذا أردنا أن نُدقِّقَ فيما يقولون، فإنَّنا نجدهم في الأعمِّ الأغلب يُضَعِّفون روايات أهل البيت، الَّذي يُضَعِّف الرِوايات يُقال لهُ راوي؟ يُقال لهُ مُضعِّفٌ للرِواية، الرّاوي هوَ الَّذي يروي، صحيحٌ روايةٌ أو حديثٌ تَدرِيه خَيرٌ من ألفِ تَرويه، صحيحٌ هذا الكلام، ولكن هذه الدِّرايةُ لابُدَّ أن تكون مُستندةً إلى قواعد وقوانين منهُم صلواتُ الله عليهم، من نفسِ حديثهم، من نفس نِظام الحماية الَّذي أوجدوه في داخل حديثهم، فحين نقرأ في الزِّيارة الجامعة الكبيرة نخاطبهم (كَلَامُكُم نُور) النور؛ هو الَّذي يكشفُ عن نفسه وعن غيره، لا يحتاجُ إلى كاشف من الخارج، يعني هذه الأضوية الآن تحتاج إلى أضوية ثانية حتَّى أراها؟ ما هو الضَّوء يكشفُ عن نفسه ويكشفُ عن غيره، الَّذي يجري في الواقع الشِّيعي لا، كأنَّ حديث أهل البيت في عالم الظُّلمة ونأتي بأشياء أخرى نُحاول أن نُسلِّطها على حديث أهل البيت كي نكتشفهُ، الموضوع فيه حديث طويل وأنا هنا لستُ بصدد الولوج في كُلِّ التفاصيل، ولكن هذا هو الواقع الَّذي نحنُ نعيشهُ ونتلمّسهُ، فحين نقول: (كَلَامُكُم نُور) لابُدَّ أن تكونَ القُدرة على الكشف والانكشاف للحقائق موجودة في نفسِ كلامهم!! لابُدَّ للشِّيعة أن يبحثوا عن هذا النِّظام الَّذي أوجدهُ أهل البيت في داخل حديثهم! هناك نظام، هذا النِّظام تُرك ووُضع جانباً وجاءونا بمنظومة صنعها المخالفون، فجاءوا بها وطبّقوها على حديث أهل البيت، هذا هو الواقعُ الَّذي نحنُ نَعيشهُ، فإذا وقفنا على هذا المفصل فحالتنا أسوأ من زمان الغيبة الصّغرى! ففي زمان الغيبة الصّغرى هناك من ينطبقُ عليهم هذا الوصف: (**وَأمَّا الحَوَادِثُ الوَاقِعَة فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاة حَدِيثِنَا**) قطعاً السّفراء ينطبقُ عليهم هذا الوصف، أمّا في زمان الغيبة الكبرى وأنا لا أتحدَّث عن مقطعٍ زمانيٍ

مُعيّن، أتحدَّث عن زمان الغيبة الكبرى على طولها، من البدايات الأولى الَّتي اخترقنا فيها الفكرَ المخالف وإلى يومنا هذا.

مفصلٌ آخر أقف عنده ماذا يقول إمام زماننا؟: (**وَأَمَّا أَبُو الخَطَّاب مُحمَّد بن أَبِي زَينَب الأَجْدَع فَمَلْعُونٌ وَأَصْحَابُهُ مَلْعُونُون، فَلَا تُجَالِس أَهْلَ مَقَالَتِهِم فَإِنِّي بَرِيءٌ وَآبَائِي مِنْهُم بُرَاء**) المنهجُ الخطّابي.

الإمام هنا يتحدَّث عن أبي الخطّاب مُحمَّد بن مِقلاص الأجدع، كان من خواصِّ أصحابِ إمامنا الصّادق، وبعد ذلكَ أنشأ فرقةً ضالة، من أبرز الملامح العمليةِ لهذه الفرقة الضالة هو القولُ بسقوط التكاليف الشَّرعية، وبالمناسبةِ هذا النَّحو من التفكير موجودٌ في الواقع الشِّيعي، صحيحٌ لا توجد مراكز مُعيّنة أو يافطات، ولكن هناك مجموعات موجودة، قد تكون قليلةً، قد تكون محدودةً، في أماكن مُختلفة، في مواقع مُختلفة من الواقع الشِّيعي توجد مجموعات ينطبقُ عليها هذا الوصف، ففي هذه النقطة الحالةُ هي هي، هذا الأمر كان موجوداً في زمان صدور الرِسالة وفي زماننا هذا أيضاً، حتَّى عبر المقاطع المختلفة من تأريخ الغيبة الكبرى هذه الحالة كانت موجودةً على طول الخط، تأتي في زمانٍ وتغيبُ في زمانٍ آخر، قد لا تكون ظاهرةً للعلن وإنَّما تبقى خفيّةً تحت الستار.

مفصلٌ آخر أيضاً تحدَّثت عنهُ رسالة إمام زماننا حين قال: (**وَأَمَّا الخُمْسُ فَقَد أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجُعِلُوا منهُ فِي حِلٍّ إِلى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا لِتَطِيبَ وِلَادَتُهُم وَلَا تَخْبُث**) من نفس الرِسالة، ولا أريدُ أن أقف طويلاً عند هذا المفصل فالكلام واضحٌ وصريح، الإمام أباح الخُمس لشيعته، واختلفت آراءَ فقهاء الشِّيعة إلى أربعة عشر مجموعة، إذا أردتم أن تعودوا إلى الموسوعات الفقهية، إلى المطوّلات في الفقه، ستجدون أنَّ فُقهاء الشِّيعة اختلفوا إلى أربعة عشر مجموعة في هذه القضيّة، هذه المعلومة الثابتة الآن في الأذهان في الوسط الشِّيعي العام من أنَّ الخُمس واجب، هذا يُمثِّل رأياً من أربعة عشر رأي عند فقهاء الشِّيعة عبر زمان الغيبة الكبرى، وهذه التفاصيل موجودة ومذكورة في الكُتب الفقهية المطوّلة والموسّعة.

وتستمرّ رسالة الإمامِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، آخر نُقطة أقفُ عليها، ماذا قال إمام زماننا في السّطر الأخير من الرِسالة؟ (**وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الفَرَجِ فَإِنَّ ذَلك فَرَجَكُم وَالسَّلَامُ عَلَيكَ يَا إِسْحَاقَ بن يَعْقُوب وَعَلَى مَن اتَّبَعَ الهُدَى**) وتنتهي رسالة إمام زماننا الحُجّة بن الحَسَن صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الفَرَجِ -واضح، أمرٌ صريحٌ بَيِّنٌ، قال الإمام- وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الفَرَجِ: قطعاً نحنُ لا نُكثر من الدعاء بتعجيل الفرج، وعلى فرضِ أنَّنا نُكثرُ من الدعاء بتعجيل الفرج، فإنَّنا ندعو دُعاءً خائباً فاشلاً، قد تقولون كيف؟

هم يقولون: (الدُّعَاءَ من دُونِ عَمَل كَالقَوسِ بِلَا وَتَر) القوس بلا وتر هل يستطيع الرّامي أن يرمي فيه؟ لا يستطيع، الآن إذا عندنا قوس وما فيه الوتر، فكيف أستطيع أن أستعمل هذا القوس وأن أُطلق السّهم من خلاله؟ لا يُمكن ذلك، فالدُّعاء من دونِ عملٍ كالقوس بلا وتر، لأنَّهُ ما من دُعاء إلَّا ويشتملُ على موضوعٍ مُعيّن، وكلُّ موضوع هُناك عملٌ يكون مُناسباً لذلك الموضوع، يكون من جنسه، فالمريض حين يدعو ويطلب

الشِّفاء عليه أن يعمل، أن يتحرّك لتحصيل الدواء، عليه أن يذهب إلى الطبيب، مع حركته باتِّجاه الطبيب، معَ حركته بالتزام تعاليم الوقاية وتعاليم العلاج الَّتي يُقدِّمها الطبيبُ له، يكونُ هذا العملُ من جنس موضوع الدَّعاء يُمكن أن يُستجاب الدَّعاء هنا، يُمكن، ليس شرطاً، يُمكن أن يُستجاب الدَّعاء هنا، أمّا لو أنَّ المريض يبقى يُباشر الأسباب الَّتي أدَّت إلى مرضه وهو لا يعرفها ويدعو الله بالشِّفاء، هذا دعاء خائب، دُعاء فاشل، فحينما ندعو بتعجيل الفرج لإمام زماننا ونَحنُ لا نُقدِّمُ عملاً يتناسبُ معَ هذا الدَّعاء، أتلاحظون الخيبة الَّتي نحنُ فيها، هذه خيبةُ الشِّيعة، هذا هو اختلالُ الأولويات في الواقع الشِّيعي الَّذي أشرتُ إليه في أول حديثي، الإمام هكذا يقول، يقول: (**وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الفَرَج**) أساساً نحنُ لا نُكثرُ الدعاء، وإن دعونا فدعاؤنا دعاء خائب لأنَّهُ من دون عمل، دعاء لا يتجاوز اللقلقة اللسانية، فقط ألفاظ تتردَّد على الألسنة، أين العملُ الَّذي يكون مُناسباً لموضوع الدعاء؟ لابُدَّ أن يكون العملُ من جنسِ الموضوع، من نفس الموضوع، لا يوجد، هذا هو الواقع الشِّيعيّ الَّذي نحنُ فيه.

بقيّة التفاصيل الموجودة في الرِّسالة إذا أردنا أن نقف عندها ليست بعيدةً عن هذا المضمون، ولكنَّني لا أجد وقتاً كافياً للوقوف عند كُلِّ الكلمات الَّتي جاءت في رسالة إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

الرِّسالة الإمامُ ختمها بكلمة خطيرة جداً بعد أن قال: **وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الفَرَج** -إلى أن يقول الإمام- **وَالسَّلَامُ عَلَيكَ يَا إِسْحَاقَ بن يَعْقُوب وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى** -على من اتَّبع الهُدى هذه الصِّيغة صيغةٌ عُرفت في الثَّقافة الإسلاميّة في خطابات النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم، في خطابات المعصومين حين يختمون حديثهم بهذه العبارة هذا يكشفُ عن عدمِ رِضائهم عن الجمهور الَّذي يُخاطبونه، حين تُختم الرِّسالة بهذه العبارة- **وَالسَّلَامُ عَلَيكَ يَا إِسْحَاقَ بن يَعْقُوب** -فهذه شخصيةٌ مرضيّةٌ، سَلَّم عليها الإمام- **وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى** -هذه العبارة تُشير إلى أنَّ مجموعةً قليلةً من الشِّيعة يُوجَهُ الإمام إليها السّلام، لو كان يُوجَه السّلام للجميع ما استعمل هذا التعبير، لقال: والسّلامُ عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى شيعتنا وعلى المؤمنين، ولكن حين استعمل هذا التعبير واضح المراد- **وَالسَّلَامُ عَلَيكَ يَا إِسْحَاقَ بن يَعْقُوب وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى**.

سُؤالٌ يطرح نفسهُ هنا وأنا أتحدَّثُ عن الدُّعاء بتعجيل الفرج، ولابُدَّ أن يكون الدُّعاء مصحوباً بعمل، وأن يكون هذا العمل من جنسِ موضوع الدُّعاء، كما في المثال الَّذي أشرت إليه في المريض، فلابُدَّ أن يكون عملُ الدَّاعي بتعجيل الفرج أن يكون عملاً مُتناسباً، مُتناسقاً، معَ موضوع الدُّعاء، وهذا يعودُ بنا إلى تكليفنا، إلى تكليف الشِّيعة في زمانِ غيبة إمامهم؛ التمهيدُ لظهوره! التمهيدُ لظهوره هو العملُ الَّذي يكونُ مُنسجماً معَ مضمون الدُّعاء، حين يأمرنا الإمام: (**وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعجِيلِ الفَرَج**) هو يأمرنا في نفس الوقتِ بأن نعمل تحت هذه اليافطة، تحت هذا العنوان: التمهيدُ لظهوره صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وقطعاً التمهيدُ لا يمكن أن نُشخِّصهُ بحالةٍ مُعيّنة، فهذا الأمرَ يختلفُ باختلاف الأزمنة والأمكنة، وهذا الأمر يختلفُ باختلاف الأشخاص، ويختلف باختلاف الظروف الموضوعية المحيطة بالشَّخص من زمانٍ إلى زمان، من مكانٍ إلى مكان، من حالةٍ إلى حالة، ويُؤخذُ بنظر الاعتبار الإمكانات المتوفِّرة، الإمكانات على المستوى المادي، على المستوى المعنوي، العوائق والموانع الَّتي تقفُ في الطريق، هذه قضيّةٌ استراتيجيةٌ كبيرة، لها تفاصيلها ولها تشعّباتها.

لكنَّني يُمكن أن أجمل الكلام في أنَّ التمهيد يكون على رتبتين:

- التمهيد على المستوى الفردي على المستوى الشَّخصي.
- والتمهيد على مستوى الأمّة والمجتمع.

التمهيد على مستوى الأمّة: قد يطول الحديث فيه، لأنَّ الحديث عن التمهيد على مستوى الأمّة هذا حديثٌ عن مؤسّسات، قد تكون هذه المؤسّسات سياسيةً، قد تكون إعلاميةً، قد تكون اقتصاديةً، قد تكون تعليميةً، الحديثُ يطول ويتشعَّبُ فيها.

لكنَّ الحديث عن التمهيد على المستوى الفردي، على المستوى الشَّخصي، يُمكن أن ألخِّص الكلام فيه في نُقطتين حتَّى أكمل حديثي وأسألكم الدُّعاء:

على المستوى الفردي أو الشَّخصي هُناك أمرٌ واضحٌ صريحٌ جداً: تلخصهُ كلمة إمامنا الباقر صلواتُ الله وسلامهُ عليه الَّتي يرويها لنا زُرارة: (ذُرْوَةُ الأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الأَشْيَاء وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالى الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِه) ذُروة الأمرِ؛ والذروة أعلى شيء (ذُرْوَةُ الأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الأَشْيَاء وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالى الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِه).

وبشكلٍ عمليٍ يُترجمها لنا إمامنا الكاظم صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (أَفْضَلُ العِبَادَة بِعْد الْمَعرِفَة انْتِظَارُ الفَرَج) أفضلُ العبادة بعد المعرفة، المعرفة أوّلاً، وقطعاً مصدر المعرفة تُشخِّصهُ كلمةُ إمام زماننا: (طَلَبُ الْمَعَارِف من غَيرِ طَرِيقنَا أَهْلِ البَيت مُسَاوِقٌ -مُساوِق يعني مساوي- مُسَاوِقٌ لإِنْكَارِنَا) لا أريد أن أتشعَّب كثيراً في هذه الجهة هذه النقطة الأولى.

وأمّا النَّقطة الثَّانية فهي في المقام العملي: في المقام العملي، أقل ما يُمكن، أقل ما يُمكن أن يفعله الشِّيعي في هذا المستوى من التمهيد أن ينظر إلى حاله، وكلُّنا عيوبٌ من رؤوسنا إلى أرجلنا، أن ينظر إلى حاله، إلى عُيوبه، أنْ يُحاول أن يُصلِّح عيباً من عيوبه، عيب واحد، أن ينقطع عن ذنبٍ من ذنوبه، بهذا العنوان بعنوان التمهيد، والتهيئة، والتحضير لإمام زمانه على المستوى الفردي، أن يُصحِّح عيباً واحداً من عيوبه، أن نُصحِّح عيباً من عيوبنا، أن ننقطع عن ذنبٍ واحد من ذنوبنا، هذه الخطوةُ لو جاءت بشكلٍ صحيح وبشكلٍ مُتقن وبنيّة صادقة يقعُ الشِّيعي تحتَ نظرَ إمام زَمانه، هذه الخطوةُ ستقودهُ إلى خطوات، سيقودهُ التوفيق، ولا أعتقد أنَّ هذا الأمر بالغ الصعوبة، أنَّ الإنسان ينظر إلى عُيوبه، أن يُصحِّح عيباً واحداً من عيوبه، أن ينقطعَ عن ذنبٍ حتَّى لو كانَ يعتبرهُ ذنباً صغيراً، أن ينقطع عن ذنبٍ من ذنوبه، هذا الأمر سيقودهُ، سيقودهُ بالتوفيق كما تقول كلماتهم الشَّريفة: (التَّوفيقُ خَيرُ رَفِيق فِي الطَّرِيق) في الطريق التوفيق خيرُ رفيق، فحينما تقعُ أنظار الإمام على عَبده الشِّيعي هذا سينالُه التوفيق، والتوفيقُ خيرُ رفيقٍ يُصاحبنا في الطريق.

السّلامُ عَلَى الشَّهِيدَة الْمَظْلُومَة.. السّلَامُ عَلَى ضلْعهَا الْمَكْسُور.. السّلَامُ عَلَى جَنِينهَا الْمُسْقَط بَينَ البَابِ وَالجِدَار.. السّلَامُ عَلَى فَاطِمَة وَعَلَى ظَهْرِهَا الْمُدَمّى وَعَلى خَاصِرَتهَا الْمُزْرَقَّة وَعَينِهَا الْمَسْطُورة وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُه..

اللَّهُمّ يَا ربّ الحُسينِ بِحَقِّ الحُسَين اشفِ صَدرَ الحُسَين بِظُهُورِ الحُجّة عَلَيهِ السّلام..

أَسْألكم الدُّعاءَ جَميعاً..

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ونَبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأَطيَبِين الأطهرين..

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصوص المجلس كما هي وهذا المطبـوع لا يخلـو مـن أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل المجلس بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

الـمُتابَعة

القمر

1438هـ

2017 م

أحاديثٌ في الفناء الفاطميّ - ألمانيا: المجلس الثاني ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر
www.alqamar.tv